ملمح الاستشراف في قصة جولة في دنيا الخيال لأحمد رضا حوحو مقاربة - سيميائية تأويلية -

The Foresight Feature in the Story of Jourlet in the World of Fantasy by Ahmed Reda Houhou An Interpretive Semiotic Approach

د. فاطمة الزهراء عايب[1,*]

[1]المركز الجامعي بريكة، (الجزائر)، Fatma.ayeb@cu-barika.dz

تاريخ الإيداع: 2022/12/08 **تاريخ المراجعة**: 2023/01/30 **تاريخ النشر**: 2021/03/31

ملخص:

يروم المقال تسليط الضوء على قصة جزائرية معنوّنة بجولة في دنيا الخيال، وهي قصة من قصص رضا حوحو المتضمنة من خلال مؤلفاته، وقد كان للقصة كنوزها المتخفية وراء سطورها إذ حاور فيها القاص الكثير من القضايا التي تحتاج التحليل والبحث عن المرامي الخفية المدفونة في أصقاع النص القصصي.

ولما كان القاص مفكرا ومبدعا وداعيا مناهضا لترسيخ القيم الإنسانية والوطنية، فقد شكّلت هذه القصة كنزا غنيا بالدلالات التي فيها الكثير من الأبعاد الهامة التي اخترنا منها تناول ملمح الاستشراف إذ سنتناولها بالتحليل وفق مقاربة سيميائية تأويلية متناولين بعض المقاطع السردية بالتحليل واستكشاف البعد الاستشرافي ، وما يحمله من شحنات دلالية للتوعية والعظة باعتبار ما نعايشه حاضرا وعشناه ماضيا يحتاج رؤية استشرافية لتجنبه والتحذير من مخاطره مستقبلا .

الكلمات المفتاحية: القصة، أحمد رضا حوحو، الاستشراف، سيمياء التأويل

Abstract:

The article aims to shed light on an Algerian story entitled A Tour in the World of Fantasy, which is one of Reda Houhou's stories included through his writings.

And since the narrator was a thinker, creator, and advocate against the consolidation of human and national values, this story constituted a rich treasure of connotations that have many important dimensions, from which we chose to deal with the aspect of foresight, as we will deal with it by analysis according to an interpretive semiotic approach, dealing with some narrative passages with analysis and exploring the forward-looking dimension, and what it carries. From indicative shipments to raise awareness and exhortation, considering what we live in the present and lived in the past, which requires a forward-looking vision to avoid it and warn of its dangers in the future.

***Key words**: the story, Ahmed Reda Houhou, perspective, semiotics of interpretation.*

* المؤلف المراسل.

تقديم:

تُعدّ القصّة جنسا أدبيا هامّا احتل مكانته وأبرز فنياته الجمالية اللغوية فكان محل استقطاب من طرف المتلقي بوصفه شريكا فعّالا في قراءة ما وراء الدلالات محاولا فكّ شفرات النص الأدبي ومتعمقا في خفاياه، وشهدت القصة الجزائرية مكانتها وحظوظها في إيصال الرسائل المستنبطة الهادفة من خلال مضامينها ومن أبرز القصاصين الجزائريين الذين أرسو معالم بداياتها بوصفها جنسا أدبيا فنيا القاص – **رضا حوحو** – الذي زخر الأدب الجزائري بقصصه،فاخترنا منها قصة **جولة في دنيا الخيال** محاولين تقصي دراسة ملمح الاستشراف فيها وفق مقاربة سيميائية تأويلية سنجيب من خلالها عن تساؤلات هامة سنتتبعها في هذا المقال فما هي ملامح الاستشراف في هذه القصة ؟ ما الأبعاد الخفية التي أراد القاص إيصالها للمتلقي ؟ ما العلاقة بين الأنا والآخر وفق دنيا الخيال وما يعاش واقعيا ؟.

إن ما سنطرحه وفق مسار البحث في هذا المقال سنجيب عنه وفق مهاد نظري ركزنا فيه على تعريف القصة، وبداية نشأتها في الجزائر والتعريف بالمنهج السيميائي التأويلي ثم الانتقال لجانب تطبيقي عرضنا فيه تتبع مسار ملمح الاستشراف وغاياته .،

أوّلا- المهاد النظري :

تعدّ القصة من الفنون النثرية الحديثة، ولا يمكن ربط القصة بالحوادث والشخصيات فقط وإنما بالفنية اللغوية كضرورة للتجنيس فطريقة عرض الأحدث في القصة تجعل المتلقي يتفاعل معها وينجذب (بحيث يشعر القارئ أن هذه حياة حقيقية تجرى، وحوادث حقيقية تقع ، وشخصيات حقيقية تعيش)[1] .

وعليه، فالفنية واجبة لكتابة القصة حتى يكون هناك جسر تواصل بين القاص والمتلقي ولا يتأتى ذلك إلاّ بحجة الإقناع والصدق وهذا ما يحقق أن القصة يجب أن تكون ذات حركة وحياة، خالية من التحليل النفسي والاجتماعي ويرى فريق من الأدباء ألّا تخلو القصة من دعابة أو تهكّم أو هزل أو نقد أو نكتة[2] .

وبذلك كانت القصة حاملة لمضامين إنسانية ورسائل مشفرة بين طياتها الكثير ، ورغم حداثة القصة القصيرة ’إلى أن هناك من النقاد من يقول إنها تعود إلى الفنون القديمة ويؤكّدون أن جذورها تمتدّ في التراث العربي ورغم الجهود للتأكيد على ذلك ’إلا أن القصة الفنية بتقنياتها الفنية تعدّ فنا جديدا ظهر بالمنتصف الثاني من القرن العشرين متأثرا بالأدب الغربي، وهذا ما صرح به يوسف الشاروني بقوله **(إن القصة القصيرة ولدت في الغرب عندما قدم إدجار ألان الأمريكي أفضل محاولاتها المبكرة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ثم أرسى دعائمها وطورها دي موباسان الفرنسيّ في النصف الثاني من ذلك القرن نفسه)**[3] .

ونظرا لصعوبة تحديد نشأة القصة القصيرة يمكننا القول إن القصة القصيرة بدّت بوادرها بالظهور مع حركة الترجمة الحديثة ونقل الآداب الغربية إلى اللغة العربية فبدأت موجة من الترجمات على يد **(رفاعة رافع الطهطاوي الذي يعتبر أول من ترجم قصة من الأدب الغربي إلى اللغة العربية، تلك قصة تليماك**

لفلتون وذلك عام 1867م)[4] فساهمت الترجمة القصصية في إيصال فكرة القصة بوصفها جنس أدبي له فنيته. **بالإضافة إلى الترجمة نجد دور الصحافة جليا في ظهورها مشرقيا فهناك تزامنا بين نشأة الصحافة وظهور القصة وانتشارها لحاجة كل واحد منهما للآخر إذ نجد (الصحافة احتاجت إلى القصة القصيرة، كما احتاجت القصة القصيرة إليها)**[5] .

يتبيّن لنا من خلال هذا صعوبة تحديد زمني لفترة نشأة القصة لكننا نؤكّد على أن الترجمة والصحافة كانتا عاملين مهمين لظهورها وانتشارها، وما يهمنا في مقالنا هو فن القصة الجزائرية الذي كان متأخر الظهور نتيجة عوامل ظهور المستعمر وما عانته الجزائر من ويلات، فنجد **عبد الله الركيبي** يوضح تأخر ظهورها في الجزائر بالمشرق فيقول موضحا التأخر الجلي ففي الوقت الذي ظهر **(كتاب أرسوا دعائم القصة مثل: محمود تيمور، وطه حسين، والمازني، ومحمد طه، حسين لاشين .. وغيرهم)**[6] .

وعليه كان تأخر ظهور القصة في الجزائر نتيجة المستعمر والظروف القاسية التي تكبدها شعبها ولقد اختلف النقاد في ظهور أول قصة بالجزائر لكن **شريبط أحمد شريبط** في كتابه يوضح بذرتها الأولى بقوله: **(يمكننا أن نلتمس تاريخا محدد لميلاد القصة الجزائرية وهو التاريخ الذي نشرت فيه قصة "المساواة فرانسو والرشيد" لمحمد السعيد الزاهري، ويمكننا أيضا أن نعدّه أول من بذر بذرة القصة الجزائرية العربية الحديثة)**[7] .

وعليه فالاختلاف واضح بين آراء النقاد حول البدايات الأولى لنشأة القصة القصيرة، وما يهمنا نحن هو تسليط الضوء على قصة من قصص **أحمد رضا حوحو** بوصفه مفكرا وكاتبا صقل موهبته بالمطالعة والخبرة فهو من القصاصين المتميّزين الذين عكفوا على احتلال مكانة أدبية متفردة، فقد كان كثير الإطلاع على الثقافات الغربية والثقافة العربية الإسلامية، وما صقل موهبة **رضا حوحو** وعمل على اتساع فكره أكثر هو هجرته للحجاز فمكث فيها ما يقارب العشر سنوات مابين المدينة المنورة ومكة المكرمة، وقد تخرج من (مدرسة العلوم الشرعية) بالمدينة المنورة سنة1938 [8] ونظرا لتفوقه فقد عمل معلما كما شارك في تحرير مجلة المنهل[9] وقد شارك بقصصه ومقالاته وترجماته عن الأدب الفرنسي، ففتح مجالا لتلاقح الثقافات والانفتاح على الثقافة الغربية، وتظل هذه المجلة **(مرجعا هاما خاصة في مجال القصة والشعر، ولا يمكن التأريخ للأدب في السعودية من دون الاعتماد عليها)**[10].

يعدّ رضا حوحو كاتبا **(مختلفا في مساره الحياتي والأدبي واعدا في كتاباته، ومتنوعا في الحقول الأدبية التي أنتج فيها كالقصة، والمسرحية والرواية القصيرة والمقالة)**[11]، فهو متنوّع الكتابة هادفا في كتابته بوصفه **(مصلحا اجتماعيا في بلده، وناقدا بصيرا بعيوب المجتمع وأمراضه، خدم شعبه وبلاده بقلمه في قصصه وتمثيلياته)**[12]فكانت رسالته إنسانية هادفة.

انطلاقا من أهمية كتاباته كانت إشكالية المقال فإلى أيّ مدى كان إصلاح الكاتب رضا حوحو في قصصه هادفا؟ هل استشرف من خلال إديولوجيته المستقبل من خلال معالجة القضايا المعاشة حاضرا؟ كيف استطاع بفنه القصصي محاورة الماضي والتعبير عن الحاضر واستشراف المستقبل؟

شدّت جملة هذه التساؤلات انتباهنا من خلال قصة قصيرة معنوّنة بجولة في دنيا الخيال التي اخترنها من كتاب المؤلفات الكاملة (القصة القصيرة والرواية العربية) الصادر عن دار مقامات بدعم من وزارة الثقافة بقسنطينة، و بقراءتها تباينت فيها ملامح الاستشراف،فكان القصاص أحمد رضا حوحو مبدعا فنيا، وفيلسوفا ومؤرخا ومحاورا منفتحا عن الثقافات مدركا ماضي حضارته العربية ومستشرفا آثار التبعية الغربية ومؤسسا لفكر إصلاحي غرضه الدعوة لبناء مستقبل متين أسسه تمجيد الأنا والتحاور مع الآخر.

إن انتقاء النص القصصي - جولة في دنيا الخيال - سببه اكتنازه بالدلالات بوصفه محرضا لطرح جملة التساؤلات والقراءات التي تحتاج غوصا للحفر عميقا في خباياه، فكان اختيار سيمياء التأويل مقاربة أنسب للخوض في المتن السردي وحرية الإبحار، فالتأويل مسار فعال يتخذه المتلقي للبحث عما وراء السطور لذا عُدّ (التأويل هو الملمح الأساسي للتطبيق السيميائي له سلسلة من الاستجابات التي يثيرها النص ويمسك بزمامها المتلقي)13تبقى مهمّة المتلقي دوما فكّ شفرات النص الأدبي وسبر أغواره لأن القراءات متعددة ، ولا يمكن القول بنهائية القراءات، وهذا يعود بنا لما أقره امبرتو ايكو بإعلانه (إنّ الأغبياء أيّ الخاسرين، هم الذين ينهون السيرورة قائلين: لقد فهمنا إن القارئ الحقيقي هو الذي يفهم أن سر النص يكمن في عدمه)14. يتضح لنا أن القارئ الذكي يحاول دوما البحث عن الخفي من الدلالات، وعليه فالتأويل هو رسم المعالم للقبض على المعنى المتوارى في نصّ أدبي تشكله لغة جمالية وعليه (كان التأويل تجربة جمالية يقوم بها القارئ عبر وسيط اللغة ،فإنّه لا مناص من أن يخرج النص وهو عالم تشكله اللغة من داخله إجراءات تكون بمثابة شروط تنظيمية لعملية التأويل).15

انطلاقا من ذلك وقع اختيارنا على قصة جولة في دنيا الخيال المتضمنة ضمن المؤلفات الكاملة المجموعة لقصص وروايات رضا حوحو التي كانت مكتملة البناء القصصي من شخصيات وأحداث تحمل في طياتها ملامح استشراف مختفية وراء الدوال سنحاول استكشافها بتحريض التأويل بوصفه مسارا لتتبع الدلالات المتناسلة،وهذا ما سنتناوله في الشق التطبيقي.

ثالثا : ملمح الاستشراف في قصة جولة في دنيا الخيال لأحمد رضا حوحو مقاربة - سيميائية تأويلية –

أ- مضمون القصة:

يستهل القاص القصة برغبة جامحة وعشق بلقاء دنيا الخيال أو عالم الخيال التي كانت واسطة الوصول إليها عن طريق الكتاب، وبأسلوب رمزي يومئ بعشق الكاتب للمطالعة، ويعلن إبحاره لعالم الخيال من خلال معانقة الفكر الذي تبدى في صورة شاب وسيم أعلن عن اسم – **الفكر** – ووظيفته أنه خادم **دنيا الخيال**

أو عالم الخيال الذي أعلن مرافقته للمحبوب (القاص) بزيارة دنيا الخيال برحلة استكشافية، معلنا أن دنيا الخيال تضمّ جميع الطبقات والفئات ولكلّ منها شؤونها وخدمتها ، وكان مرافقه (الفكر) باعتبار عالم الخيال سريع المواصلات وغير مكلف ماديا وجسمانيا.

تخلل هذه القصة حوارات بين القاص والمرافق (الفكر) حول البنايات المحتوية على منارة في غاية الارتفاع شبيهة جدّا بمداخن المعامل الكبيرة التي أعلن أنها أندية لكلّ منها اسمه أمام مدخله، ومن هذه الأندية تستمد أولئك الرجال العظام، وتثمر بدائع الأفكار وأول نادي تمت قراءته نادي- الحضارة الإسلامية – بوصفه أعظم الأندية و أفخمها وأجملها لكن سرعان ما انقلب الفرح إلى حزن عند ملاحظة أن الأسلاك المتصلة بمنارة هذا النادي التي تؤدي أعماله وتبدو ثماره مقطوعة كلّها ما عدى سلكا واحدا دقيقا جدا، وتكمن الحسرة في النادي المجاور المسمّى الحضارة الغربية الحديثة.

أعلن القاص الخطر بدخول الحضارة الإسلامية فوجد الأبهة والعظمة، ولكن الغبار دليل هجرتها ليدخل عالم الحضارة الغربية الذي أكّد بساطتها لكنّه غاص بكلّ أصناف البشر من كل الملل سواء غرب أو عرب مسلمين أو رجال أو نساء أو غيرهم، وفي رحلة القاص يعلن أمله رغم ألمه ثمّ كان نادي الهمجية بوصفه أكبر الأندية إذ فيه المدافع والقنابل والرشاشات والغازات الخانقة بكلّ أنواعها التي كان الحوار فيها يومئ لهمجية الآخر المستعمر الذي شكّل مختلف أنواع الفساد الأخلاقي.

صوّرت القصة بلغتها الوصفية أن هذا النادي فيه بابين عن اليمين والشمال مكتوب على الأول (همجية حسية)، وفيه كل ما هو منفر وسبب للدمار من مدافع وأسود أما الباب الشمالي فمزخرف بعبارة (همجية معنوية ممتازة) مشتملا على جميع الملاهي، المقامر... وغيرها فكان هذا النادي يحمل كلّ الفساد، ثمّ كانت جولة أخرى إلى بناية مكتوب عليها (دار الآثار العامة) وبه عديد النوادي نادي الآثار الرومانية والإسلامية، وغيرها كما وُجد علم الدين الإسلاميّ ونادي اللغة العربية وحراسها، وفيه توضيح لمن أعرض عنها وتوضيح الإعراض عن اللغة العربية وما نتج عنه، وتتواصل تسميات البنيات حتى الوصول إلى عمارات جديدة لم يتمّ بناؤها بعد فكانت تسميتها مؤسسات إسلامية حديثة،ليتم زيارة ناد للنهضة الإسلامية الذي كان يومئ لتقهقر الأوضاع الموجب لإصلاح ا أسسه العمل الدنيوي والأخروي .

إن اختيارنا لهذه القصة المكتنزة الدلالات مقصودا لتميّزه بمضامينه الهادفة التي غرضها معالجة صراع الحضارات عبر رحلة الفكر في عالم الخيال الواسع المستشرف لغد أفضل، والقضاء على التبعية الغربية والانحلال الأخلاقي واستشراف عواقب البعد عن الدين، ونظرا لاكتناز النص السردي بالرموز اخترنا المنهج السيميائي التأويلي وسندرس أوّلا العنوان ثمّ المتن لنتتبع ملمح الاستشراف فيها.

ب- سيميائية العنوان:

يعدّ العنوان مفتاحا أوّليا لقراءة المتن السردي القصصي، فهو لافتة مهمّة لاستقطاب المتلقي بوصفه خزانا دلاليا مكتنز الدلالات، فيضيء عتمة المتن السردي القصصي وبواسطة التأويل سنحاول فكّ

الشفرات المعتمة لقراءة ملمح الاستشراف في بعض المقاطع السردية **(فمادام العنوان عتبة من عتبات النص، فهو ممتلك لبنية ودلالة لا تنفصل عن خصوصية العمل الأدبي، ولذلك فحينّما يتمّ اعتبار النّص مجموعة من العناصر المنظمة، فإنّ العنوان الذي يعتبر جزءا من تلك العناصر لا يُظهر فقط التسمية، فالعنوان يتضمن العمل الأدبي بأكمله)**[16].

وعليه، شكّل **العنوان** في القصة المختارة بؤرة جذب ودهشة، **فالعنوان**: - **جولة في دنيا الخيال**- جملة اسمية تقريرية تثبت الانتقال باعتبار الجولة انتقال من مكان جغرافي لآخر، والجولة عادة تحمل التغيير والاستفادة والرغبة بالتمتع بمكان آخر لكن هذه الجولة ليست كغيرها، فهي انتقال من عالم حسي إلى عالم آخر، فكانت الدنيا الأولى المستقر الثابت المعاش بماديته ومعنوياته، وكان المكان المرتحل له دنيا مغايرة فيها من الضبابية ما يدعو للاستكشاف فلطالما أردنا الهروب بأحلامنا عبر الخيال فأي خيال هذا المهروب له؟ هل هذه الجولة تحمل عبق الأمنيات؟ أو الإصلاح؟ أو الاستشراف من أجل حياة أفضل؟ .

تومئ لنا جملة هذه التساؤلات التطرق لخوض القراءات المفتوحة لنتوقع أغراض مقصودة، فمنطقيا أن نتجول معناه استكشافات جديدة ما يجعلنا نؤكّد على أهمية هذه الجولة وأهدافها النبيلة، وإن كانت الدنيا التي نعيشها آيلة للزوال فلابد أن الرحلة المقصودة ستقفز عبر الأزمنة لنرحل عبر متنها بين ماض وحاضر يحمل مغزى ملامح تستشرف المستقبل ، وهذا ما سنتناوله عبر المتن السردي القصصي المختار .

ج- ملمح الاستشراف في قصة -رحلة دنيا خيال - لأحمد رضا:

تستوقنا قصة **جولة في دنيا الخيال** بحدث رئيس يحرك مجريات الأحداث وهو رغبة البطل (القاص صاحب المتن) بزيارة عالم الخيال إذ يصير الشغف يحمل عبق المغامرة لتتجسد حقيقة الرحلة مع استخدام الكتاب كواسطة وظهور الشخصية المساعدة التي تمثلت بشاب وسيم يكشف عن ذاته بالقول إنه **(الفكر)** تتحرك الشخصيات - **القاص والفكر** - في مسار واحد ويكشف الفكر إنه خادم الخيال، فيكون الشغف متعلق بالرحلة التي شكّلت الهدف المنشود، وأمام تأزم الأحداث مع هذه الجولة يظهر الصراع كل مرة عند الوقوف عند كل نادي من هذا الخيال الذي يمثل مسارا جغرافيا للانتقال.

بتفحص متن القصة جيدا يظهر **البعد الإصلاحي** من خلال النتيجة المتوصل لها كل مرة من طرف القاص الذي عادة يحاور الفكر، فيقتنع بالغالب بمواقفه وينحاز له فيكون الفكر عنوانا إذن لمسار الأحداث المتتالية، وشريكا فعالا لتغيير مجرى الأمور وبين استحضار للماضي في كل مرة مع كل نادي ينجلي الحاضر الواقعي المعاش بتفاصيله في الدنيا الواقعية ليكون الخيال تجسيدا للمنطق ومعبرا فقط لأمنيات مختزنة في فكر القاص إذ الغرض الذي سنستكشفه مع بعض المقاطع يصوّر مكبوتات لأحلام قاص يرى في قلمه سلاحا للدفاع والرغبة بغد أفضل.

نستشف عبر كل تلك المحطات استشراف رغبة التغيير كل مرة باستخدام المنطق بتبريرات الفكر وحوصلة النتائج المتوصل إليها من طرف الكاتب المحيل **لرضا حوحو**، وعبر التأويل بوصفه مقاربة نقرأ ما وراء

السطور إذ يصبح **القاص** محركا للأحدث، **والفكر** وسيطا و**الخيال** أمنيات مختزنة تريد التحقق مستقبلا لتنجلي ملامح الاستشراف جلية.

كما نجد من المقاطع السردية المعبّرة عن الاستشراف القول (**وأشار بأصبعه إلى نادي الحضارة الإسلامية)، ولما قام هذا بنصف عمله إن لم نقل لما وجد أصلا**)[17] وفي هذا المقتطف يبرز الفكر بوصفه مرافقا للكاتب عن أهمية الحضارة الإسلامية وما أمدّته للحضارة الأوربية التي سطع نجمها بإمدادها،وفي هذا ملمحا لاستشراف الغد الأفضل للحضارة الإسلامية رغم تغييبها فإن كان الماضي يخلد ازدهار الحضارة الإسلامية ويوثق حاضر بزوغ تمدن الحضارة الأوربية إلا أن **الفكر** بوصفه جسرا للتأمل والدعوة للتغيير يومئ لرسالة مبطنة لضرورة إعادة أمجادنا لاستشراف مستقبل زاهر.

كما نجد أيضا من المقاطع السردية الحاملة لملمح الاستشراف واستكشاف تبعية الأنا الممثلة بالعالم الإسلامي للآخر ما فيه رسالة واضحة لإعادة قراءة التاريخ بعيون العارف،ومعرفة أسبقية التأثر والتأثير بين الحضارات وبعث آلية الخلل الكامن للتخلف ونستشف ذلك عبر المقطع السردي **(فلم يرد علي جوابا، سوى أنه مسكني من يدي وانطلق بي إلى داخل زقيق صغير من النادين، وحفر في الأرض قليلا، وإذ بحبال متينة من حديد تظهر لنا ثمّ قال متحمسا، أنظر يا أخي! لما هجر المسلمون ناديهم هذا، وتجمهروا على ما في هذا الكوخ حينما ظهر حديثا، اغتنم أصحابه الفرصة وأوصلوه سريا بهذا النادي الإسلاميّ بواسطة هذه الأسلاك كما ترى، وأصبحوا يتمتعون بكلّ ما أنتجته من تحف وطرف ونفائس، ناسبين كل ذلك إليهم، وموهمين الأغرار والبسطاء أنها من ثمرات دينهم)**[18].

يُظهر الفكر المتقمص شخصية الرفيق ووسيط الخيال معنى عميقا لعلاقة الأنا بالأخر إذ يفجر من خلالها قضية العصر وهي الهجرة للعالم الغربي قصد التحضر وتناسي المنبع الأول للحضارة ، وفي رمزية الكوخ المحيل للعالم الأوربي استصغارا أمام القصر القوي البنيان لكن الإشكالية في البشر الذين رأوا مقياس الحديث مع الجديد، فهجروا إليه ولم يحفروا في الماضي العتيد للعالم الإسلامي وثقافته، فصار العالم الغربي يتباهى بثرواته التي في أصلها للعالم الإسلاميّ، وأمام انبهارنا كان اغتنام الفرص لترويج لهذه الحضارة الأوربية المدعومة في منابتها بالتاريخ الإسلاميّ.

نستشف أن المغزى العميق المتوارى يحيلنا لضرورة قراءة الماضي لاستشراف المستقبل، وكأنّما قيام الحضارات وامتدادها لابّد أن تُصنع بالإنسان الذي يقرأ تاريخه أوّلا ويعزز قوته لا أن ينبهر بحضارة الآخر التي جذبته بالمظاهر التي أصلها مسروقة من حضارتنا إذ يظهر **ملمح الاستشراف** من خلال إصلاح الذات العربية الإسلامية التي بصلاحها ندرك قيمة وعراقة حضارتنا، وتؤكّد هذه الفكرة عبر مقطع سردي آخر بقوله **(فدخلنا النادي الأول، وإذا به قصر عظيم ذو غرف واسعة، وأثاث ثمين، كلّ شيء في محله، بترتيب لطيف، ونظام دقيق، بيد أنه تعلوه طبقة من الغبار دلنا على أنه نسي منسي)**[19] فالحضارة الإسلامية المرموز لها بالقصر العظيم الدال على الرفعة والشموخ والغنى والمرتّب هجره سكانه بدلالة الغبار، ولم يعرفوا كنوزه وفي ذلك

استشراف لمستقبل لأمه هاربة من هويتها بوصف المسكن مستقر وامتداد وتعبير عن الهوية ويتجلّى استشراف مخاطر الهجرة للعالم الأوربي .

من المقاطع السردية الأخرى التي تتضمن ملامح الاستشراف الموضحة لتشابك علاقة الأنا بالأخر وضرورة التمييز بين الحضارات القول (**ثمّ دخلت إلى جاره: نادي الحضارة الأوروبية، فوجدته في غاية البساطة، وهو من الخشب كأنه مخزن من تلك المخازن الخشبية التي تبني في المراسي لحفظ البضاعة المودعة فيها، وكذلك أثاثه ورياشه وأدواته كلّها بسيطة**)[20] فالحضارة الأوروبية تعدّ في غاية البساطة في جوهرها وتعكس مظاهر الحداثة، وفي هذا استشرافا لمستقبل واعي مبنيّ على فهم أسس بناء الحضارات ، وهذا ما أراد القاص تمريره بمرافقة الفكر بوصفه يمثل شعلة اليقظة .

يثبت حبل الأمل ولا ينقطع رغم الصراعات المتواجدة في عالم الخيال، فهي حقائق معاشة اختزنتها الذاكرة، ولم تشاء حلها تاركة إيها تسبح في الاضطرابات والعتمات ورغم ذلك،فالقاص المتجوّل في عالمه المنشود لم يفقد شغفه وأمله ويتضح ذلك جليا من خلال المقطع السردي (**خرجت من نادي الحضارة الأوروبية، كاسف البال مضطرب الفكر... ولولا الأمل بأني سأرى ما يسرني ويسري عني هذا الألم العظيم ويزحزح عني هذا الغم ولولا الرجاء بأني سأجد فيما بين هذه الخطوب أفراحا بما سأشهده في هذا العالم الجامع من أصول للنهضة الإسلامية التي ظهرت بوادرها في عالمنا الحسي، لولا ذلك لأعرضت عن هذه الجولة**)[21].

يتجلّى من خلال المقطع السردي صعوبة الاندماج مع عالم أوروبي بعيد عن ثقافتنا وعاداتنا وهويتنا ما يدلّ عن معاناة التأقلم واستشراف ممرا للخروج من هذه الأزمة بالبحث عن أصول نهضتنا الإسلامية المؤسسة على القيم الأخلاقية والتمدن، وفي ذلك رسالة مبطنة تدعو لحسن مسايرة التعايش مع الآخر وعدم الانصهار الكليّ والذوبان فيه .

تتواصل المقاطع السردية لنقف عند مقاطع سردية سنحاول اختصرها تحمل حوارات مثيرة بين القاص والفكر المصاحب له في رحلته إذ سيتمّ الدخول لأكبر نادي مسمّى **الهمجية** في عالم الخيال الذي سيحلنا لعديد الدلالات وملامح الاستشراف من خلال ما يترتب عليها ،ومن هذه العبارات الموجودة في هذه المقاطع السردية القول (**وإنما المقصود بالهمجية هنا أشياء كثيرة تطلقون عليها في اصطلاحكم أسماء التمدن والرقي والحضارة، وهي في عالمنا الخيالي بالعكس من ذلك تماما! .....قال: أو ليست المدافع والقنابل والرشاشات والغازات الخانقة بأنواعها تمثل في عالمكم ألوان الحضارة والرقي؟ قلت أجل.**

قال: أليست هذه كلّها مزهقة للأرواح سافكة للدماء مدمرة للعمران متلفة للمزارع والأشجار؟

قلت: أجل وبغاية السرعة.

قال: وهل من الحضارة إتلاف النباتات، وهدم البناءات وتيتيم الأطفال وترميل الأزواج، وتثكيل الأمهات؟

قلت : كلا .....

ثمّ قال: أو ليست هذه المقاهي الكبيرة، والمسارح المزركشة واختلاط النساء بالرجال، من أنواع الرقي وعناوين التمدن في نظر المتمدنين منكم؟

قلت: من غير شك .

قال: وأيّ فائدة يستفيدها الواحد منكم من هذه الأمور سوى إضاعة ماله وتلويث شرفه، وفساد دينه وعقله، وتدهور أخلاقه. ففكرت في كلامه كثيرا فوجدته حقا جليا لا غبار عليه).[22]

تومئ هذه المقاطع السردية التي كانت حوارا بين القاص ورفيقه الفكر عن أزمة لفساد القيم وانحلالها نتيجة التشبه بالآخر البعيد في منابته عن أخلاقنا الإسلامية إذ يبرز من خلال ذلك تفشي ما يعرف بالهمجية تحت غطاء التمدن والتحضر ما يجعلنا نعيش التشتت والضياع.

تتجلّى الرسائل المبطنة في محاورة فكرنا وصحوة الضمير العربي والإسلامي فينا لإعادة التوازن والرؤية بمنطقية، وبذلك فالقاص عبر الحوار يقطع الشك باليقين ويرسم منهجا إصلاحيا لو تمّ إتباعه فسيشرق مستقبل عالمنا الإسلامي ، وما مرافقة الفكر وتبريراته المنطقية إلا رسالة مفادها أن العلم يُصنع بفكر الإنسان ووعيه وإدراكه لدينه وثوابت أمته وهويته ومعرفة أمجاد تاريخه وبطولاته والابتعاد عن المظاهر الخادعة والتسميات الخاطئة ولنا في تاريخنا عبر واستشراف لما هو آت، ولن يزهر مستقبل الأمة دون وعي بحضارة ماضيها وإصلاح حاضرها وبناء مستقبلها في حلقة متصلة كانت بمثابة جولة في دنيا الخيال حوّت أزماتنا وعلاقاتنا بالآخر وحاورت أفكارنا ووضحت الداء وحاولت إيجاد الدواء ، فكان الكتاب معبرا والفكر مرافقا وصاحب الكلمة (القاص) مستكشفا وما الخيال إلا بصيرة لمكبوتتنا التي تريد أن يتحقق مرادها واقعيا .

الخاتمة:

أخيرا نصل لجملة نتائج وصلنا إليها في تقصي وانفتاح بعض المقاطع السردية من قصة جولة في دنيا الخيال لرضا حوحو نجملها فيما يلي:

1- كان النص القصصي السردي شيّق بحواراته وتساؤلاته ورموزه الموظفة ما يدل على غزارة الفكر وحسن السبك وفنية العبارات.

2- شكّل النص السردي جولة استقطبت ماض وحاضر وإيماءات للمستقبل، فكأنما القاص **(رضا حوحو)** أرد القول أن صناعة الحضارة تبنى بمعرفة الماضي وتجسيد الواقع (الحاضر) والتفكير بالمستقبل .

3- كان النص مرتكزا بين شخصية المتجول الراغب القاص الممثل للمفكر والرفيق الفكر، فكأنما هناك رسالة مفادها أن المعلم للاستكشاف هو الفكر الصانع للخيال، وعبر واسطة المطالعة تنفتح التساؤلات وتبنى الأمم ويتجلّى من خلال ذلك ملامح استشراف بناء الأمم بالقراءة.

4- برزت من خلال المقاطع السردية المختارة أزمة الفساد الأخلاقي من خلال وافد الهمجية الممثل لضياع الأخلاق ما جعل الكاتب يستشرف ويعلن ناقوس الخطر بضياع الهوية وانحلالها مع آخر يختلف عنا عقائديا.

5- برزت من خلال المقاطع السردية المختارة قضية صراع الحضارات ما جعل الكاتب يستشرف عواقب البعد عن الدين وتقصي أزمة الانحلال الأخلاقي.

6- النص السردي شيّق برموزه المكتنزة التي كانت معبرا لرحلة جعلنا نتذكر الماضي ونعايش أزمات الحاضر ونستشرف المستقبل، فكان الانتقال بين الأزمة والحوارات المتضمنة والتبريرات المنطقية لبّ التشويق لتتبع أحداث القصة.

7- جعل القاص مرافقه في الجولة (الفكر) فكان مرشدا مبررا له في كل تساؤلاته، ما فتح لنا نافذة إدراك أهمية الوعي والعقل في بناء الحضارات، فكان المغزى الأكبر في البناء يتمحور حول الإنسان بوصفة محرك مجريات التطور، فكل ما كان الإنسان ثاقب الفكر حاذق الفهم كلما أنتج تطورا لحضارته وكان له أثر لبصماته مستقبلا.

هوامش وإحالات المقال

[1] - سيد قطب: النقد الأدبي (أصوله ومناهجه) ، دار الشروق ، القاهرة ، ط5 ،1983م، ص93.

[2] - ينظر : محمد جميل سلطان : فن القصة والمقامة ، منشورات التمدن الإسلامي ، مطبعة الترقي ، (د ط) ، (دت) ، ص 9،7.

[3] - يوسف الشاروني: دراسات في القصة القصيرة ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ط1 ،1989م ، ص 57.

[4] - المرجع نفسه ، ص117.

[5] - المرجع نفسه ، ص 27.

[6] - عبد الله الركيبي : القصة الجزائرية القصيرة ، دار الكتاب العرب ، الجزائر،2009،ص11.

[7] - شريبط أحمد شريبط ، تطور البنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، 1947-1985، من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998، ص51.

[8] - ينظر محمد بسكر : (الأديب أحمد رضا حوحو في ذاكرة مجلة المنهل السعودية ، البصائر ،ع737 ، الاثنين 5-11 جانفي 2015 ، ص15.

[9] -أحمد دوغلن : في الأدب الجزائري الحديث ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ،ط1 ، 1996 ،ص315.

[10] - الطيب ولد العروسي : أعلام من الأدب الجزائري ، دار الحكمة للنشر ، الجزائر ، 2009م، ص79.

[11] - محمد صالح رمضان: شخصيات ثقافية جزائرية، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007م. ص194.

[12] - نفسه ، ص194.

[13] - امبرتو ايكو : التأويل والتأويل المفرط، تر: ناصر الحلواني، سلسلة أفاق الترجمة، ع16، ط1، الهيئة العامة للترجمة، القاهرة، 1996م، ص41.

[14] - طائع الحداوي : : سيميائية التأويل الإنتاج ومنطق الدلائل، ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2006م ، ص 364.

[15] - عبد الغني بارة : الهرمونطيقا والفلسفة ، (نحو مشروع عقل تأويلي) ، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2008م ،ص 380.

[16] - عبد الفتاح الحجميري : عتبات النص البنية والدلالة ، ط1 ، منشورات الرابطة ، الدار البيضاء ، 1996م ، ص18-19.

[17] - أحمد رضا حوحو : المؤلفات الكاملة (القصة القصيرة والرواية) ، مقامات للنشر والتوزيع ،قسنطينة ، 2015، ص 28.

[18] - المصدر نفسه : ص28.

[19] - المصدر نفسه ، ص29.

[20] - المصدر نفسه ، ص29.

[21] - المصدر نفسه ، ص31.

[22] - المصدر نفسه :ص ص 32-33.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد دوغلن : في الأدب الجزائري الحديث ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ،ط1 ، 1996م.

2- أحمد رضا حوحو : المؤلفات الكاملة (القصة القصيرة والرواية) ، مقامات للنشر والتوزيع، قسنطينة ، 2015م.
3 - سيد قطب: النقد الأدبي (أصوله ومناهجه)، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1983م.
4- محمد جميل سلطان: فن القصة والمقامة، منشورات التمدن الإسلامي، مطبعة الترقي، (د . ط)، (دت).
5- شريبط أحمد شريبط: تطور البنية في القصة الجزائرية المعاصرة، 1947-1985، من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998م.
6- طائع الحداوي: سيميائية التأويل الإنتاج ومنطق الدلائل، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006م.
7- الطيب ولد العروسي: أعلام من الأدب الجزائري، دار الحكمة للنشر ، الجزائر ، 2009م.
8- عبد الغني بارة: الهرمونطيقا والفلسفة، (نحو مشروع عقل تأويلي)، ط1، منشورات الاختلاف ، الجزائر، 2008م.
9- عبد الفتاح الحجميري : عتبات النص البنية والدلالة، ط1، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، 1996م.
10- عبد الله الركيبي : القصة الجزائرية القصيرة ، دار الكتاب العرب ، الجزائر،2009م.
11- محمد بسكر : (الأديب أحمد رضا حوحو في ذاكرة مجلة المنهل السعودية، البصائر ،ع737، الاثنين 5-11 جانفي 2015م.
12 - محمد صالح رمضان: شخصيات ثقافية جزائرية، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007م.
13- امبرتو ايكو : التأويل والتأويل المفرط، ترجمة: ناصر الحلواني، سلسلة أفاق الترجمة، ع16، ط1، الهيئة العامة للترجمة، القاهرة، 1996م.